# حوار مع الكاتب محمد أكوناض

أجرته لجنة تحرير أسيناگ

**1. ماذا عن البدايات الأولى للكتابة والتأليف عند الأمازيغ؟**

بالرغم من أن الأمازيغ يعتبرون من الشعوب السباقة إلى اختراع أبجدية خاصة للغتهم منذ زمن قديم يربو على ثلاثين قرنا، وتعلن مكتشفات حديثة عن أزمنة أبعد من ذلك، فإن الأغلبية الساحقة من الناس اعتقدوا وما زال الكثير منهم يعتقدون أن الأمازيغية لغة شفوية، لم تعرف في تاريخها الكتابة، وما زال بعض الغموض يلف البدايات الأولى للكتابة عند الأمازيغ القدامى، كما يلف تاريخهم كله. فلقد آثر قدماء الكتاب من الأمازيغ أن ينتسبوا للشعوب التي ألّفوا بلغتها، سواء كانت يونانية أو لاتينية في القديم أو كانت عربية بعد دخول العربية إلى بلاد الأمازيغ بدخول الاسلام.

وقد عني هؤلاء كثيرا بتراث الشعوب الأخرى التي امتحوا من تراثها وافتخروا بكونهم أتقنوا لغات تلك الشعوب. فها هو أبوليوس المادوري العالم والكاتب الأمازيغي الأصل -صاحب الحمار الذهبي، والمرافعة وغيرها من المؤلفات التي لم يصل إلينا منها إلا القليل- يفتخر بأنه بعد إتقانه اللغة اليونانية، واعتمادا على نفسه، أتقن اللغة اللاتينية إلى درجة أنه ألف بها كتبه التي وصلت إلينا، وبالرغم من اعترافه بأنه نوميدي جيتولي وأن ذلك لا يضيره ولا ينقص من قدره، فإنه لم يشر ولو مرة واحدة إلى تراث بلده، ومن ذلك اللغة.

إن الأبجدية الأمازيغية التي أومأت إليها آنفاً، كانت تسمى الخط اللوبي أو الليبي، وهو الخط الذي تفرعت عنه أبجدية تيفيناغ الحالية. وقد انتشر هذا الخط عبر البلاد التي استوطنها الأمازيغ واستمر وتطور عبر التاريخ أحيانا. وإذا كان منحصراً كخط لكتابة اللغة الأمازيغية في أقطار المغرب الكبير في وقت ما، فإنه ظل معمولا به عند قبائل الطوارق الأمازيغية، حتى اكتشفه الأوروبيون في العصر الحديث.

لم تصل إلى الباحثين في عصرنا نصوص طويلة مكتوبة بهذه الأبجدية، ولكن عبارات قصيرة، كأسماء الأشخاص، وشواهد القبور، أو أبيات شعرية غرامية. وإذا كان بعض الباحثين قد ذهب إلى أن هذا الخط مستمد من الخط البونيقي، فإن الأكثرية منهم يرون أنه اختراع محلي صرف، لأنه وجد قبل وصول الفينيقيين إلى شمال إفريقيا، كما وجد أحيانا في أماكن بعيدة عن التأثير البونيقي، زيادة على أن نقاط التشابه بين الخطين ضعيفة.

وإذا أمكن للباحثين اليوم أن يتحدثوا عن الخط اللوبي بيقين، فلأنه وصل إلينا منقوشاً على صخور صلدة صانته من عبث الأيدي وتقلبات الزمن، الشيء الذي لم يكن ممكناً بالنسبة للنصوص الطويلة التي كانت تكتب عادة على مواد أقل مقاومة من الصخر. وهناك إشارات تاريخية تؤيد أنه قد أبيدت أجزاء من هذا التراث المكتوب وأهملت حتى فقدت أجزاء أخرى منه بالأمازيغية عبر التاريخ. فقد وردت عبارة في ثنايا كتاب "وصف إفريقيا" للكاتب المعروف الحسن الوزان المشهور بليون الإفريقي، تؤيد ذلك إذ يقول: "وفي الوقت الذي كان حكم إفريقيا بيد المبتدعة الفارين من خلفاء بغداد، أمروا بإحراق جميع كتب الأفارقة المتعلقة

بالتاريخ والعلوم، متوهمين أن الإبقاء على هذه الكتب، من شأنه أن يترك الأفارقة على نخوتهم القديمة ويدعوهم إلى الثورة والارتداد عن الإسلام" (وصف إفريقيا، ص69-70).

ويتأكد ما ذهب إليه الوزان عندما نطرح السؤال عن مصير المؤلفات المكتوبة باللغة الأمازيغية في القرون المبكرة لدخول الإسلام إلى بلاد الأمازيغ، تلك المؤلفات التي تحدث عن بعض منها الكاتب التونسي عثمان الكعاك قائلا: "وفي هذا العصر الأول، ألف مؤرخو البربر تصانيفهم في الطبقات والسير بالبربرية دون غيرها، إلا أن هذه التصانيف قد ضاعت، وإنما اعتمدها من أتى بعد هؤلاء فوضع كتب الطبقات والسير مثل: الوسياني والدرجيني والشماخي والبرادي. ويظهر أن هذا الطور الأول يبتدئ من أوائل القرن الثاني وينتهي في أواخر القرن الثالث. والطور الثاني هو الطور العربي البربري الذي يوافق ظهور الحكومة العربية البربرية مثل الحكومة الزيرية بتونس والحمادية بالجزائر، ففي هذا العصر، جمع الكتاب بين اللغتين في تصانيفهم. وهذا الطور يبتدئ من أوائل القرن الرابع وينتهي في أوائل السادس.

والطور الثالث هو الطور العربي البحت، فقد صنف أصحاب الطبقات والسير بالعربية دون غيرها، وإن أقحموا عدة مفردات بربرية بين السطور". (البربر، ص: 48-49، دار النشر تاوالت). وقد استمرت الكتابة باللغة الأمازيغية خاصة في منطقة تاشلحيت إلى الوقت الراهن، وكانت بالحرف العربي. وعندما أحدث المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية بالمغرب، اضطلع بمهمة تحقيق ونشر بعض هذه المؤلفات من قبيل: مخطوط سيرة الأكابر في ذكر بعض لغة البرابر لمؤلف مجهول، والترجمة الأمازيغية للبردة لعبد الله بن يحيى الحامدي، وهما من تحقيق أحمد المنادي، ثم ما قام به عمر أفا من تحقيق البعض الآخر منها ونشْره. وقد شرع في إنجاز عمل مهم يتمثل في جرد لما هو مكتوب باللغة الأمازيغية بالحرف العربي، صدر منه الجزء الأول، ضمن منشورات المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية تحت عنوان: "الدليل الجذاذي للمخطوطات والوثائق الأمازيغية، المصادر المكتوبة بالحرف العربي في منطقة سوس". لكن الكثير مما هو مؤلف باللغة الأمازيغية باد أو أبيد، أو لا يزال البعض منه في أيدي من لا يدركون أهميته أو يضنّون بالكشف عنه.

ولعل الجائزة التي يرصدها المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية للمخطوط الأمازيغي قمينة بأن تشجع من يمتلكون هذه المخطوطات على الكشف عنها. وإذا كان مستبعداً أن يعثر اليوم عن الكتاب الديني للبورغواطيين، لأن خصومهم في العقيدة من المرابطين والموحدين استأصلوا تراثهم، فلماذا لم تصل إلينا مؤلفات محمد بن تومرت مؤسس الدولة الموحدية بالرغم من أن مؤلفه باللغة العربية "أعز ما يطلب" محقق ومنشور؟

إن التأريخ للكتابة عند الأمازيغ مشروع ضخم يقع على عاتق المثقفين المغاربيين جميعهم، ولعل صرح المغرب الكبير الذي تحلم به الأجيال يتقوى بإنجاز مثل هذه المشاريع التي تؤكد الترابط والتلاحم بين أقطاره.

2. **يُلاحظ في الوقت الراهن أن الكتابة باللغة الأمازيغية لم تعد مقتصرة على الجهود الفردية للمبدعين والكتاب بهذه اللغة، بل تطور الأمر إلى انخراط جماعي في التجربة من خلال العمل المدني بوصفه آلية حديثة من آليات عصرنة المجال الثقافي ودمقرطته. وبما أنكم من مؤسسي رابطة الكتاب تيرّا، التي رسخ قدمها في سيرورة نشر الكتاب باللغة الأمازيغية وتشجيع المبدعين بها، ما هي الحيثيات المعرفية لنشأة**

**هذه التجربة المدنية، وكيف ترون مستقبلها على ضوء المكتسبات المتحققة والرهانات المطروحة؟**

إذا كانت تجربة الكتابة الحديثة بالأمازيغية تعود إلى الأربعينيات من القرن الماضي في الجزائر، فإنها لم تبدأ في بلدنا المغرب إلا في نهاية الستينيات من نفس القرن، عندما تأسست الجمعية المغربية للبحث والتبادل الثقافي في الرباط، فأصدرت أول نشرة داخلية تحت عنوان "أرّاتن"، ثم تلتها كتابات أخرى مثل الديوان الشعري الأول الذي أصدرته الجمعية للشاعر محمد مستاوي بعنوان "ئسكراف"، ثم تحقيق الجزء الأول من مؤلف أوزال المعنون ب"الحوض"، وقد تولى تحقيقه المرحوم الجشتيمي. وقد دأبت الجمعية على إثراء المكتبة الأمازيغية بنشر الإبداعات باللغة الأمازيغية، والدراسات حولها بالعربية والفرنسية وأحيانا بالأمازيغية، وكانت أول جمعية أمازيغية اتخذت لها موقعاً في المعرض الدولي للنشر والكتاب في الدار البيضاء.

اتجهت منظمة تاماينوت على العموم اتجاهاً آخر، فقد عنيت بالجانب الحقوقي، فترجم الأستاذ إدبلقاسم الاعلان العالمي لحقوق الإنسان إلى اللغة الأمازيغية، ووثيقة 169 للأمم المتحدة، ثم ترجمت مدونة الأسرة كما سبق أن أشرت إلى ذلك، ثم الأعراف الأمازيغية، هذا بجانب إبداعات أخرى.

أما جمعية الجامعة الصيفية بأكادير، فقد اضطلعت بنشر الدراسات العلمية حول الثقافة والحضارة الأمازيغية وكان لها الفضل في خلق التواصل بين المهتمين بالثقافة الأمازيغية ليس في المغرب فحسب، ولكن في أقطار المغرب الكبير وفي دول أوروبا. في هذا الجو، ظهرت مبادرات فردية في الإبداع الأدبي الأمازيغي في كل مناطق المغرب، من شعر وقصة ورواية...

بظهور المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية، الذي يعتبر استجابة لمطلب طالما رفعته الحركة الأمازيغية، فقد تطورت هذه الكتابة وانتقلت انتقالاً نوعياً، حيث دخلت الكتابة إلى مرحلة التأسيس الرسمي والفعلي لهذه الكتابة، فرُسّم الحرف المؤهل للكتابة، ووضعت المعاجم المختلفة، وضبطت القواعد الاملائية للكتابة، ثم جمعت ودونت أجزاء مهمة من التراث الشفوي، ووضعت الكتب المدرسية، وأحدثت جوائز للثقافة الأمازيغية بكل أشكالها، ومنها الإبداع الأدبي...

في هذه الظروف تولدت فكرة إنشاء كيان جمعوي يلم شمل من يحملون همّ الإبداع باللغة الأمازيغية، وكان من دواعي ذلك:

1. الشعور بأنه آن الأوان لكي تكون هنالك هيئة تجمع من سبق لهم أن أبدعوا بهذه اللغة، بدل أن يشكلوا جزراً منقطعةً عن بعضها، كل يبدع حسب طريقته الخاصة.
2. طول انتظار تحقق إنشاء هيئة وطنية للكتاب بالأمازيغية بعد أن كان عدة مرات على رأس جدول أعمال كثير من الجمعيات، ولحد الآن، لما يتحقق بعد.
3. عدم قدرة الجمعيات الأمازيغية على مواكبة تطور الكتابة بالأمازيغية، لأن هذه الجمعيات أخذت تنوء تحت ثقل مهماتها المتعددة، ومن ذلك الجانب الحقوقي والترافعي للقضية الأمازيغية، فكان لا بد من هيئة أو هيئات جهوية للكتاب تستجيب لمتطلبات المرحلة.

4. العمل لتأسيس تجربة إبداعية حداثية تنفتح على الأجناس الأدبية الحديثة مثل القصة والمسرح والرواية والمقالة التي لم تكن معروفة في الأدب الأمازيغي من قبل.
5. التأسيس لكتابة تمتح من الأصالة الأمازيغية العريقة وتستلهم رموزها الثقافية، وبدل أن تكون تابعة للشرق أو الغرب، تنفتح على التجارب الكونية في الإبداع الأدبي. فماذا حققت هذه الهيئة من أهدافها إلى حدود اليوم؟

عملت ظروف مساعدة لصالح الهيئة على أن تحقق جزءاً لا بأس به من مشاريعها الثقافية. من ذلك:

- روح التضافر ونكران الذات لدى مسيري الرابطة وتغاضيهم عن الهفوات البسيطة من أجل أن يبقي الإطار متماسكا فعالا.
- كونهم جميعا مبدعين باللغة الأمازيغية وممن حملوا هم الثقافة الأمازيغية في الإطارات السابقة.
- الدعم المادي والمعنوي خاصة من وزارة الثقافة ومن المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية، من خلال دعمهما لطبع الكتاب الأمازيغي الذي تنشره الرابطة، ومن خلال الجوائز التي تمنح للكاتبات والكتاب الذين تنشر لهم الرابطة مما يشجعهم على مزيد من المثابرة على الإبداع والتجويد.

- الانفتاح على جامعة ابن زهر بأكادير من خلال شعبة اللغة الأمازيغية وآدابها بتنظيم لقاءات أدبية مشتركة، وإنتاج منشورات مشتركة بين أساتذة الجامعة والناشطين في الرابطة.

لقد وضعت الرابطة مخططا مترابط الحلقات من أجل تحقيق الأهداف التي رسمتها، وأبرزها تحقيق تراكم في مجال الإبداع الأدبي باللغة الأمازيغية، يتكون هذا المخطط من خمسة محاور:

1. تكوين الشباب في مجال بعض الأجناس الأدبية النثرية بالخصوص مثل القصة القصيرة، والمسرح والرواية والمقالة. ينقسم التكوين إلى حصتين، في الأولى يقدم الإطار النظري، وتعطى النماذج الجيدة المنجزة باللغة الأمازيغية، وأحياناً باللغات الحية. وفي الحصة الثانية التي تأتي بعد فترة يقدم فيها المتكونون إبداعاتهم التي يتكفل الأستاذ المسؤول بتصحيحها، فتختار من بين الإبداعات نماذج تنشر فيما بعد في منشور خاص يتضمن نصوصاً أخرى لكتاب سبق لهم أن كتبوا في نفس الجنس الأدبي.
2. التكوين في مجال القواعد الإملائية لكتابة اللغة الأمازيغية، وهي القواعد التي وضعها اللسانيون ورسمها المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية وشعب الدراسات الأمازيغية في بعض الجامعات الوطنية. وهذا التكوين أساسي، لأن أغلب الكتاب بالأمازيغية كانوا يكتبونها بطرق مختلفة.
3. تخضع الإبداعات التي تتولى نشرها الرابطة لمجموعة من المعالجات: منها القراءة الأولية للإبداع للتأكد من صلاحيته للنشر، ثم عملية التصحيح والمراجعة.
4. تنظيم لقاء سنوي يتمحور حول إحدى قضايا الأدب الأمازيغي، يستدعى إليه باحثون من مختلف جهات الوطن، ويحضره المهتمون بقضايا الأدب الأمازيغي وخاصة المبدعين منهم. وخلال اللقاء توزع الجوائز على الذين فازوا في المسابقة الوطنية في الإبداع الأمازيغي

الذي دأبت الرابطة على تنظيمه منذ انطلاقتها. وأهم ما في الجائزة طبع العمل الإبداعي للفائزين في المسابقة، مع هدية تتمثل في مجموعة من الكتب الإبداعية من منشورات الرابطة.

5. إقامة معارض مختلفة من أجل التعريف بالكتاب الأمازيغي وتقريبه من القارئ، وهكذا شاركت الرابطة في كل دورات المعرض الدولي للنشر والكتاب الذي يقام سنويا في الدار البيضاء منذ نشأته، وفي كل المعارض الجهوية التي تنظمها المندوبيات الجهوية للثقافة، باستثناء المعرض الأخير الذي أقيم في مدينة طاطا. وفي كثير من معارض الكتاب التي تقام في كلية الآداب والعلوم الإنسانية بجامعة ابن زهر بأكادير.

6. تنظيم لقاءات قرائية نقدية في الأعمال الإبداعية التي تنشرها الرابطة بحيث تتراوح بين أربعة أو خمسة لقاءات في السنة على الأقل. تجمع المقالات التي يشارك بها المتدخلون في هذه اللقاءات مع مداخلات الأساتذة المشاركين في اللقاءات السنوية للرابطة لتنشر فيما بعد.

ومنذ سنة 2010 إلى اليوم، أي ما يقارب إحدى عشرة سنة، أصبحت حصيلة منجزات الرابطة كما يلي:

1. أحد عشر لقاء أدبياً وطنياً مع منح جوائز المسابقة الأدبية، وفي ثلاثة منها، تم تكريم بعض الرواد المبدعين في هذه المجالات: القصة القصيرة والنقد الأدبي وأدب الطفل؛
2. تسعة لقاءات تكوينية في تقنيات كتابة القصة القصيرة والمقالة الأدبية، والنص المسرحي؛
3. ثمانية لقاءات تكوينية في مجال القواعد الإملائية لكتابة اللغة الأمازيغية؛
4. عدة لقاءات في القراءة النقدية في الأعمال الإبداعية التي نشرتها الرابطة؛
5. نشر 208 كتاب إبداعي في مختلف الأجناس الأدبية، توزعت هكذا:

أ- 94 مجموعة قصصية، 71 منها إبداع فردي، و11 مجموعة موجهة للطفل، و8 مجموعات اشترك في إبداعها، و4 مجموعات مترجمة من الأدب العالمي؛

ب- 49 ديوانا شعريا، 43 منها إبداع فردي، و3 موجهة للطفل، و3 إبداع جماعي؛

ج- 32 رواية، 25 منها إبداع فردي، و7 روايات مترجمة من الأدب العالمي؛

د- 20 نصاً مسرحياً، 11 منها إبداع فردي، و7 نصوص مترجمة، و2 موجهان للطفل؛

هـ- 4 مجموعات من المقالات النقدية؛

و- 3 مجموعات من المقالات الأدبية اشترك في إبداعها؛

ز- 3 حكايات، 1 مدونة، و2 مترجمتان؛

إضافة إلى ذلك، هناك ترجمة كتاب "النبي" للكاتب اللبناني جبران خليل جبران، وترجمة كتاب "كليلة ودمنة".

ساهم في إبداع هذه الحصيلة 73 كاتبا، و21 كاتبة، الأغلبية الساحقة منهم من الشباب.

لا بد من الإشارة إلى أنه بجانب هذه الانجازات، مشروعات أخرى لم توفق الرابطة أو لما توفق في إنجازها، منها أن يكون لها مقر لممتلكاتها خاصة الكتب، ومنها إصدار مجلة أدبية، وتنظيم معرض للكتاب الأمازيغي على الصعيد المغاربي في أكادير، وتنظيم جائزة لتشجيع قراءة الأدب الأمازيغي ...